

مقومات تكامل الأمر في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة الواقعية والمثالية

علاء عبد العباس الخفاجي

طالب دكتوراه ، كلية العلوم والمعارف ، جامعة المصطفى العالمية ، قم ، ايران

alaaalhafaji@gmail.com

الدكتور منذر محسن حسن الحكيم

أستاذ ، قسم التقريب بين المذاهب والأديان ، جامعة المصطفى العالمية ، قم ، ايران

Elements of the integration of nations in the Qur'anic text Modern educational theories, realistic and ideal

Alaa Abdel Abbas Al-Khafahi

PhD Student, Faculty of Science and Knowledge, Al-Mustafa
International University, Qom, Iran

Dr. Munther Mohsen Hassan Al-Hakim

Professor, Department of Rapprochement between Sects and Religions,
Al-Mustafa International University, Qom, Iran

Abstract:-

The study entitled: The components of the integration of nations in the Qur'anic text and realistic and ideal educational theories is a comparative study, and through the researcher's adoption of the descriptive comparative method, to make an objective comparison between the data and rulings revealed in the revelation towards a realistic integration of the individual, society and nation and what humans theorized through their limited vision of incomplete theories, and through which real integration cannot be reached, but rather caused a cultural and realistic conflict on the international level, which in itself divides the group and disperses the whole, while we find that the Qur'anic revelation came on the pace of unity, unification and integration, as God Almighty said: (Indeed, this is your nation, one nation, and I am your Lord, so worship Me) Al-Anbiya/92. The standard of integration that God Almighty called for is the oneness of the Creator and His call to the unity of the worshipped. He also said: (And We did not send before you any messenger except that We revealed to him, "There is no god except Me, so worship Me") Al-Anbiya'/25. And from the international integration in the Qur'an is that the call of the prophets is one, as their primary mission is to call to the oneness of God and then to worship Him. Despite the existence of human diversity, this diversity necessitates acquaintance and then integration, and there is no standard for preference in that except piety to God, as God Almighty said: (O mankind, indeed We have created you from male and female and made you peoples and tribes that you may know one another. Indeed, The most honorable of you in the sight of Allah is the most righteous of you. Indeed, Allah is Knowing and Aware (Al-Hujurat: 13). The verse shows acquaintance and integration on the basis of piety. As for educational theories.

Keywords: components, integration, the Qur'an, theories, educational, realism, idealism.

الملخص:-

إن الدراسة الموسومة: مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الواقعية والمثالية دراسة مقارنة، ومن خلال اتباع الباحث للمنهج الوصفي المقارن، لعقد المقارنة الموضوعية بين ما نزل من الوحي من بيانات واحكام نحو تكامل واقعي للفرد والمجتمع والامة وبين ما نظّر له البشر من خلال نظره القاصر من نظريات غير متكاملة، ولا يمكن من خلالها الوصول إلى تكامل حقيقي، بل احدثت صراعاً ثقافياً، وواقعياً على الصعيد الاممي، وهو يجد ذاته يفرق الجمع ويشتت المجموع، بينما نجد أن الوحي القرآني جاء على وتيرة الوحدة والتوحيد والتكامل، فقد قال تعالى: ﴿لَئِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ الانبياء/٩٢. فمعيار التكامل الذي دعا الله تعالى اليه هو وحدانية الخالق ودعوته إلى وحدة المعبود، وقال كذلك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَحِيَ إِلَيْهِمْ أَنَا إِلَهُ الْإِنْسَانِ﴾ الانبياء/٢٥. ومن التكامل الاممي في القرآن ان دعوة الانبياء واحدة اذ ان مهمتهم الاساسية الدعوة إلى وحدانية الله ثم عبادته، ومع وجود التنوع البشري لكن هذا التنوع يوجب التعارف ومن ثم التكامل ولا معيار للتفضيل في ذلك سوى التقوى الله، اذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات/١٣، فالآية تظهر التعارف والتكامل على اساس التقوى، واما النظريات التربوية سواء في المدرسة الواقعية أو المثالية، أو غيرها ليس لديها هذا المعيار التكاملي وان ادعت الواقعية أو المثالية أو غيرها، اذ تظن علىها فكرة الهيمنة بالقوة المادية العسكرية والاقتصادية، فالتربية القرآنية تخلق فرداً متكاملاروحيًا وخلقياً ومادياً، ومن هذا المنطلق لأسرة متكاملة.

الكلمات المفتاحية: المقومات، التكامل، القرآن، النظريات، التربوية، الواقعية، المثالية.

المقدمة :-

إن مسألة الدراسة الرئيسية هي بيان مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة، حيث جاء في القرآن الكريم مقومات عدة أسهمت في تغيير واقع الأمة التي نزل فيها والأمم التي تلتها ومن هذه المقومات تربية المجتمع على ترك العبادة الوثنية وعبادة الآلهة المتعددة ودعت إلى عبادة الإله الواحد وقال الله لا تتخذوا إلهين إنما هو إله واحد فأياي فأرهبون النحل: ٥١، ثم أن القرآن جاء بثقافة التكاملية والشمولية ويعني ذلك تكامله في مجالات الحياة جميعها؛ الأخلاقية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية، وغيرها، وتكامل اتجاهات التربية القرآنية في مجالات العقيدة، والعبادة، وسلوك المسلم مع الفرد، والجماعة، ودعى إلى الوسطية: ويقصد بها الاعتدال، والقسط، والأفضلية؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣، إذ راعى القرآن مكونات الإنسان؛ من جسد، وروح، بشكل متوازن، بحيث لا يطغى جانب على حساب جانب آخر، فقد أعطى كل جانب حاجاته ومتطلباته في حالة من التوازن التي ترفض الإفراط أو التفريط، ومن هنا كان منهج القرآن الكريم وسطاً بين تطرف الماديين وتشدد الرهبانيين، وجاء القرآن بثقافة الواقعية: ويكون ذلك من خلال النظر في اختلاف البشر في الصفات، والفصائل؛ فهو يتعامل معهم على أساس الخطأ والإصابة، وليس على أساس المثالية، وتُحاول آياته الوصول بالإنسان إلى درجة التقوى؛ قال - تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ فَنَسَا إِيَّا وَسُعِيَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة (٢٨٦)، وغيرها من المقومات كالإقتداء بالقدوة الحسنة واتخاذ وسائل الترهيب والترغيب والعبرة والاعتبار من الأمم السابقة، وكذلك تسعى الدراسة إلى الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف لمقومات تكامل بين ما جاء في النص القرآني والنظريات التربوية والتي منها الواقعية والمثالية، فهناك من المقومات التي جاءت الإشارة لها في القرآن ولم تتطرق لها النظريات التربوية، أو إن القرآن الكريم جاء ببعض المفاهيم في المقومات التكاملية كانت مختلفة عن ما موجود في النظريات التربوية أو أن بعضها كان متشابه، حيث كانت أغلب النظريات التربوية الحديث أما مبنية على الثقافة المادية الماركسية

أو النفعية البرغماتية أو المثالية والروحية فقط، وهذه الدراسة تسعى إلى بيان ما جاء من مقومات لتكامل الأمم في النص القرآني حسب ما ذكر من أمم أو بما تحدث عنها القرآن وأن كان قد أولى لبعض الأمم اهتماما وخصوصية حيث ذكر أحوالها تفصيلا، وبعض المقومات جاء بشكل عام حيث تحدثت عن عوامل رقي الأمم معنويا وماديا، أو على صعيد تعامل الفرد مع ربه وخالقه أو مع حتى نفسه والأخرين، وكل هذه العوامل والمقومات أن سار عليها البشر كانت سبيل صلاحهم ونجاتهم، وكذلك النظريات التربوية قد جاءت بما يقوم الأمم ويحث على صلاحها وأن كانت هذه النظريات غير ناظرة إلى ما يقوم الفرد والمجتمع على الصعيد العقائدي والجانب العبادي والعلاقة مع الخالق، بل تركز دائما على ما يقوم الإنسان والمجتمعات بالتعامل مع الغير أو ما يصلح الأفراد وأحوالهم ويرتقوا بأفكارهم وتطلعاتهم لتكون حالة المثالية هي السائدة بين الأفراد والأمم.

المبحث الأول

المفاهيم

من المفاهيم المهمة التي يجب تناولها هي: مقومات، تكامل، الأمم، النظرية، النظرية التربوية، النظرية الواقعية، ويمكن التفصيل وكما يلي:

المطلب الأول: مقومات تكامل الأمم في اللغة والاصطلاح.

الفرع الأول: المقومات لغتيا واصطلاحا

١- المقومات لغة:

أصل الكلمة في اللغة من المصدر قوام: "وقوام الجسم: تمامه وطوله، وقوام كل شيء: ما استقام به." (١).

و"قَامَ بِالْأَمْرِ يَقُومُ بِهِ قِيَامًا فَهُوَ قَوَامٌ وَقَائِمٌ وَاسْتَقَامَ الْأَمْرُ وَهَذَا قَوَامُهُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَتَقَلَّبَ الْوَاوُ يَاءً جَوَازًا مَعَ الْكَسْرِ أَي عِمَادَهُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ وَيَنْتَظِمُ مِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى الْكَسْرِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ قِيَامًا﴾ وَالْقَوَامُ بِالْكَسْرِ مَا يَقِيمُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْقَوَامُ بِالْفَتْحِ الْعَدْلُ وَالْإِعْتِدَالُ." (٢).

ومقومات: كلمة أصلها الاسم مقوم في صورة جمع مؤنث سالم وجذرها قوم

مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة (٢١٣)

وجذعها مقوم وتحليلها مقوم + ات، كلمة مقومات هي جمع كلمة مقوم، وجمعها أيضاً مقومون، والاسم الفاعل منها هو قوم، وتعني: ما يعطي قيمة لأي عمل أو شخص أو مجموعة، وتعني أيضاً جميع ما يتكون منه الجسم، أو الجهاز، أو المشروع لمجموعة العناصر الأساسية التي تساهم في بروزه ونهوضه بفعالية كبيرة. وللمقومات أفرع وأقسام عديدة؛ حيث إن لكل منها معنى مختلفاً، وأساسيات مختلفة تعتمد عليها سواء كان في النواحي الحياتية أم العلمية، أم العملية^(٣).

قَوِّمْتُ الشَّيْءَ تَقْوِيماً. وَأَصْلُ الْقِيَمَةِ الْوَأُو، وَأَصْلُهُ أَنْكَ تَقِيْمُ هَذَا مَكَانَ ذَاكَ^(٤).

وَبَلَّغْنَا أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: اسْتَقَمَّتْ الْمَتَاعُ، أَي قَوْمَتُهُ. وَمِنْ الْبَابِ: هَذَا قَوْمٌ الدِّينِ وَالْحَقِّ، أَي بِهِ يَقُومُ. وَأَمَّا الْقَوْمُ فَالطُّولُ الْحَسَنُ. وَالْقَوْمِيَّةُ: الْقَوْمُ وَالْقَامَةُ. قَالَ: أَيَّامٌ كُنْتُ حَسَنَ الْقَوْمِيَّةِ^(٥).

النتيجة: ان المقوم مأخوذ من القوام: أي قوام الشيء، والطول والحسن، والعدل والاعتدال.

الفرع الثاني: التكامل لغة واصطلاحاً:

١- التكامل لغة: إن البحث عن المدلول اللغوي للتكامل نجد أصوله في الفكر الغربي في الكلمة اللاتينية integritas التي تعني تجميع الأشياء وربط الأجزاء المفصلة وتجميعها كما ورد استعمالها عام ١٦٢٠ في قاموس أكسفورد oxford أما في اللغة العربية فورد التكامل في قاموس "لسان العرب" بمعنى التمام وهو مشتق من فعل كمل وكامل شيء أي تمت أجزائه^(٦) كمل الكاف والميم واللام أصل صحيح يدل على تمام الشيء. يقال: كمل الشيء وكمل فهو كامل، أي تام. وأكملته أنا^(٧). قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٨).

لغة: تكمل وتكامل واكمل أي تم وكان كاملاً^(٩).

٢- التكامل اصطلاحاً: يختلف الباحثين في تعريفهم التكامل و السبب في ذلك رجع حسب جوزيف ناي إلى اختلاف الزاوية التي ينطلق منها كل باحث في معالجته لظاهرة التكامل.

يعرف ارستت هاس E.hass التكامل على أنه: العملية proses التي من خلالها تحاول مجموعة من الوحدات السياسية الوطنية تحويل ولائها وأهدافها ونشاطاتها السياسية الاجتماعية و الثقافية نحو مركز جديد تكون لمؤسساته صلاحيات تجاوز صلاحيات الدول القومية القائمة فالتكامل ادن لخلق مؤسسات تكون لها القدرة على صنع القرارات المهمة^(١١).

المطلب الثاني: المفاهيم المرتبطة بالتكامل:

١- التعاون: هو اتفاق يتم بين دولتين أو أكثر يتم بموجبه مجرد تخفيض الرسوم الجمركية علي التجارة بينها أو إبرام اتفاقية ليسير تسوية المعاملات الجارية بينها أو اتفاقية لتسهيل إجراءات انتقال المواطنين بينها للعمل، والتعاون قد يكون بين دول متجانسة اجتماعيا، اقتصاديا وسياسيا أو عكس ذلك^(١١).

٢- الحلف: هو عبارة عن اتفاق يقوم بين دولتين أو أكثر من أجل العمل معا حول مسائل أمنية مشتركة وتهدف الدول من خلال مشاركتها في هذا الترتيب الأمني التعاوني إلى حماية نفسها من أي خطر مشترك أو محتمل يهدد مصالحها، فهي تعتقد أنها قادرة من خلال حشد الموارد وتوحيد الجهود علي زيادة نفوذها في إطار النظام الدولي وتعزيز أمنها خارج دول الحلف.^(١٢)

٣- التنسيق: هو عبارة عن محاولة تتضمن التقارب المتواصل للسياسات الاقتصادية للدول عن طريق عملية اتصالات ومشاورات داخل جهاز دولي أو جهوي وهذا لوضع برنامج يهدف إلى تحقيق أهداف اقتصادية رئيسية لهذه الدولة التي لا يمكن تحقيقها بطريقة منفردة، إذن التنسيق ينطلق من مؤسسة أو جهاز ووجوده سابق علي عملية تنسيق هذا عكس التكامل الذي يهدف إلى تكوين أجهزة ومؤسسات جديدة كما أن التنسيق يكون في الغالب مؤقت عكس التكامل.

٤- الاندماج: برز هذا المفهوم في الخمسينيات وكان أساسا وصفا لتغيرات في هندسة أوروبا السياسية والاقتصادية، أدرك المفكرون سريعا أن ما كان يجري ضمن أوروبا الغربية يحمل تبعات مهمة بالنسبة إلى العلاقات الدولية عامة وبالنسبة إلى نظرية العلاقات الدولية، بوحي من النظريات الوظيفية، ساهم كتاب من أمثال "ديفيد

ميتزاني و"كارل دوتش وارنست هاس في دراسة الاندماج في العلاقات الدولية ووضعوها الأسس الفكرية لدراسة التبعية المتبادلة في السبعينات من القرن العشرين^(١٣).

المطلب الثالث: الأمم لغة واصطلاحاً:

الفرع الأول: الأمم لغة: الأمم جمع أمة، ويأتي مفهوم الأمة في معاجم اللغة بالجماعة البشرية والأقوام والناس، ويتقاطع مع مفاهيم الملة والقوم والشعب. ويعرف ابن منظور مفردة الأمة بأنها القرن من الناس، أما أمة كل نبي فهم من أرسل إليهم من كافر ومؤمن، وأمة محمد كل من أرسل إليه من آمن به أو كفر^(١٤).

وبعاضده في ذلك الراغب الأصفهاني، حيث صنّف الأمة "بأنها كل جماعة يجمعها أمر ما، إن دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر تسخيراً أو اختياراً، وجمعها أمم"^(١٥) وما يذكر أيضاً صاحب لسان العرب مرادفات له، كالرجل الذي لا نظير له والحين والملك.. ويذكر ابن الأنباري في كتابه الزاهر في معاني كلمات الناس أن الأمة في كلام العرب تنقسم إلى ثمانية أقسام، منها الجماعة والزمان والدين^(١٦).

والسبب الأساس في تنوع معاني هذه المفردة استعمالها قرآنيًا في عدة موارد بمعانٍ مختلفة، مما يشق على اللغوي أن يجمعها في معنى واحد ليعتبر الباقي مصداقاً لها، ما يلزمه بأن يفترض أن لها معانٍ كثيرة تختلف بحسب استعمالها في الخطاب والنص، وبحسب مقصد المستعمل لها.

الفرع الثاني: الأمم اصطلاحاً: فيتبادر من إطلاق كلمة الأمة الجماعة البشرية المتجانسة، حيث يكون التجانس إما زمانياً أو مكانياً أو فكرياً ودينيًا.

بينما تعرفها موسوعة السياسة الأمة: هي مجموعة بشرية، تكون تألفها وتجانسها القومي عبر مراحل تاريخية تحققت خلالها لغة مشتركة، مما يؤدي إلى إحساس بشخصية قومية وتطلعات ومصالح قومية موحدة ومستقلة^(١٧)، ولكن يبدو أن هذا التحديد موغل في التقيد، حيث يجمع عدداً كبيراً من المحددات ليطلق على قوم بأنهم أمة، الأمر الذي يخالف إرادة عدد كبير من المستعملين لهذا المفهوم. هذا الإشكال على التعريف المذكور تتجبه

الموسوعة العربية العالمية التي تُعرّف الأمة بأنها: "مجموعة بشرية كبيرة توحدّها عوامل مشتركة مثل الدين واللغة والتاريخ والتراث والثقافة المشتركة، وكثيراً ما يشعر الناس بولاء كبير لأمتهم ويعتزون بمميزات القومية"^(١٨).

المبحث الثاني

مقومات تكامل الأمم في القرآن الكريم

لا شك في أن الدين الإسلامي دعا إلى التبجيل واختيار مخافة الله القدير، وتوسع في الدعوة للاستفادة من النعم المادية، والتمتع بلذات الحياة الدنيا، وبهذا استطاع أن يصنعها. دولة إسلامية مركز واحد حققت كلا من المنظورين المادي والاخلاقي، إنها ليست مثل البلدان المادية التي تقبل في صدق الفرح، لذا فهي تلخص الإنسان وحياة الإنسان في مجرد الحصول على نفقة من روائع هذا العالم، وهباته، وقدراته، كما يرغب الأعداء أن يتهموا الإسلام بذلك..

كما أنها ليست مثل البلدان التي لها مقدمة أخلاقية (شريعة سماوية) تماماً، والتي لخصت حياة الإنسان في السعي وراء الزوايا الأخرى تماماً، وإطالة على العالم وما فيه، والجسد ومتطلباته الأساسية، أو ربما يكون الإنسان الكلي - تحت الإطار الإسلامي وأخلاقيات طبيعته المزدوجة للروح والجسد - هو الشخص الذي يقدر المنظورات المادية والأخلاقية. لذلك يأخذ من هذا العالم ترتيبه وبهجته، ويلجأ إلى المستقبل كهدف وهدف، فيأخذ من هذا الحظ السعيد، ومن هذا حظ غير مهمل من جانب الروح، والأفراد من جانب الجسم، كل من هذين المنظورين، لبيان مقومات التكامل في القرآن الكريم لابد من التفصيل في مباحث ومطالب، وكما يلي:

المطلب الأول: مقومات التكامل المادي للأمم في القرآن الكريم

الفرع الأول: نوع الحكومات المتكاملة في الإسلام ومميزاتها.

ولأجل هذا يجب أن تكون الحكومة الإسلامية في تركيبها، ومنهجها متصفة بهذا اللون ومتسمة بهذه الكيفية، فلا ينصرف همها إلى توفير الظروف المادية وتتجاهل الجوانب الروحية والمعنوية بل عليها أن تسعى إلى إقامة ذلك التوازن بين الجانبين، في حياة الأمة

مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة (٢١٧)

الإسلامية فلا تدع جانباً يطغى على جانب آخر، ولا تدع شيئاً يأتي على حساب شيء آخر ولأجل بيان ذلك لابد من التفصيل، وكما يلي:

أولاً: نواة الحكومة الإلهية المتكاملة

إن حكومة الرسول ﷺ كانت من نوع الحكومات الإلهية، إلا أنه ﷺ كان يؤمر بمشاورة الناس لتبقى مصبوغة بصبغة شعبية، وأما ما يتعلق بالحكومات الإلهية فقد وردت آيات قرآنية كثيرة تبحث ذلك^(١٩)، "مثلاً داود ﷺ فإن القرآن يقول عن لسانه هو: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَأَتَّبِعِيَ لَأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾"^(٢٠) ونتبين من الآيات التي تلت هذه الآية أن دعا سليمان ﷺ كان قد استجيب ووهبه الله حكومة لم يسبق لها مثيل، فقد كانت الريح تجري بأمره، وسخر الله له الشياطين والعفاريت، وكان يستفيد حتى من الطيور في النجاز بعض أعماله."^(٢١).

و"إن الحكومة الوصيدة التي يمكن قبولها تماماً هي حكومة الله، حكومة الرسول ﷺ والأئمة المعصومين، وأولئك الذين يملكون الشروط الخاصة لخلافتهم، وطبيعي أن لا نرى الدنيا في حال العدالة والصلاح والسعادة التامة إلا في ظل الحكومة الإلهية."^(٢٢).

ويتبين مما سبق أن الحكومة الإلهية هي الحكومة دون الحكومات الأخرى، فلا تكامل إلا برضا الله، والحكومة التي تتكون برضا وعنايته، وحاكمها منصوب من قبل الله هي الحكومة المتكاملة القادرة على إقامة القسط والعدل في الأرض لا غير.

ثانياً: مميزات الحكومة الإسلامية المتكاملة

إن أبرز، وأفضل أنواع الحكم الإسلامي وهو حكومة الرسول الأكرم محمد ﷺ، بنيت على أساس ثورة ثقافية، فقد اهتم الرسول ﷺ طيلة الثلاث عشر سنة التي قضاها في مكة بالتربية والتعليم ونشر الثقافة الإسلامية والعقائد وغيرها من الأمور الأخلاقية والمعرفية المتكاملة، وقد ربي أصحابه وعلمهم بحيث صار كل منهم لبنة أساسية في بناء الحكومة الإسلامية، أي أن الثورة السياسية والاجتماعية والنظام الإسلامي قام على أساس نفس تلك الثورة الثقافية^(٢٣).

الفرع الثاني: التكامل الاقتصادي

إن الدولة الإسلامية في بداية تأسيسها ونشأتها وضع أسسها الدستورية وفقاً للأحكام الإلهية التي انزلت في القرآن الكريم، وهي أسس متكاملة ليشوبها النقص، ووضعت قواعد اقتصادية متكاملة، ومحصنة من الانتهازية والطمع والجشع فقد حرمت الربا، واحلت البيع، وشرعت الصدقات لتكافل وتكامل المجتمع فقد قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢٤) تشير الآية إلى قسمين من الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية للزكاة، حيث تقول: (تطهرهم وتزكئهم بها) فهي تطهرهم من الرذائل الأخلاقية، ومن حب الدنيا وعبادتها، ومن البخل وغيره من مساوئ الأخلاق، وتزرع مكانها خلال الحب والسخاء ورعاية حقوق الآخرين في نفوسهم، وفوق كل ذلك فإن المفاسد الاجتماعية والانحطاط الخلقي والاجتماعي المتولد من الفقر والتفاوت الطبقي والذي يؤدي إلى وجود طبقة محرومة، كل هذه الأمور ستقتلع بتطبيق هذه الفريضة الإلهية وأدائها، وهي التي تطهر المجتمع من التلوث الذي يعيشه ويحيط به، وكذلك سيفعل التكافل الاجتماعي، وينمو ويتطور الاقتصاد في ظل مثل هذه البرامج.

وعلى هذا فإن حكم الزكاة مطهر للفرد والمجتمع من جهة ويكرس الفضيلة في النفوس من جهة أخرى، وهو سبب في تقدم المجتمع أيضاً، ويمكن القول بأن هذا التعبير أبلغ ما يمكن قوله في الزكاة، فهي تزيل الشوائب من جهة، ووسيلة للتكامل من جانب آخر^(٢٥).

وحث القرآن على العمل الصالح والنقي والطاهر في جميع الجوانب ليكون التكامل هو السائد، ووضع أسس الرقابة الذاتية، فقد قال تعالى: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرُّهُ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢٦) تشير الآية الكريمة إلى أن لا يتصور أحد أنه إذا عمل عملاً، سواء في خلوته أو بين الناس فإنه سيخفى على علم الله سبحانه، بل إن الرسول ﷺ والمؤمنين يعلمون به إضافة إلى علم الله عز وجل.

وإن الإلتفات إلى هذه الحقيقة والإيمان بها له أعمق الأثر في تطهير الأعمال والنيات، فإن الإنسان عادة إذا أحس بأن أحداً ما يراقبه ويتابع حركاته وسكناته، فإنه يحاول أن يتصرف تصرفاً لا نقص فيه حتى لا يؤاخذ عليه من يراقبه، فكيف إذا أحس وأمن بأن الله ورسوله والمؤمنين يطلعون على أعماله؟!^(٢٧).

مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة (٣١٩)

ومن بين الاسس التي تعزز التكامل الاقتصادي هي عدم اكل ونهب الحقوق الفردية والاجتماعية بالباطل كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢٨)، وقد بين الشيخ الطوسي معنى الآية فقال: ان في معنى قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قولان:

الأول: أن يكون ذلك من الجهة الظلم، نحو الخيانة، والسرقة، والغصب، ويكون التقدير لا يأكل بعضكم أموال بعض الباطل كأكل مال نفسة بالباطل.

الثاني: لا تأكلوه على وجه الهزء واللعب، مثل ما يوجد في القمار والملاهي ونحوها، لان كل ذلك من أكل المال بالباطل^(٢٩).

ونجد أن التكامل الاقتصادي من الاهداف الاساسية في القرآن ابتداءً من حرمة الربا إلى كتابة الدين، واعادة توزيع الثروة بشكل عادل، واعطاء كل ذي حقه، وتشريع الخمس والفيء والصدقات والكفارات تحت مبدأ أن للفقير حق في مال الغني حتى لا تصيبه مخمصة أو عوز وذلة، وحفظ حقوق اليتامى والمحرومين ليتكافل المجتمع ويتكامل، ومن الركائز الأساسية للاقتصاد المتكامل هي:

أولاً: اهتمام الإسلام البالغ بالتكامل الاقتصادي: لا شك في أن الاقتصاد يحتل موقعاً حساساً وهاماً في الحياة البشرية، إذ يدور عليها رحي جوانب كثيرة من هذه الحياة، ومن هنا اهتم الإسلام بالمسائل الاقتصادية اهتماماً بالغاً، فوجود الأبواب الكثيرة، المتعلقة بالمبادلات المالية في الفقه والتشريع الإسلامي إلى جانب التوجيهات والإرشادات المرتبطة بهذا الحقل ينبئ عن اهتمام الإسلام الشديد بالاقتصاد ويكشف عن أن الدين الإسلامي ليس كسائر الأديان تنحصر مسؤوليته في إعطاء العظات الأخلاقية، وتقديم الوصايا المعنوية الفردية مهملاً أهم مسألة في حياة الإنسان وهي القضية الاقتصادية.

كيف والعمل من أجل الآخرة يتوقف على قدرة الجسم، وسلامة البدن، وانتعاش الجانب الاقتصادي فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (اللهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بيننا وبينه، فلولوا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدينا فرائض ربنا)^(٣٠).

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (وبالدنيا تُحرزُ الآخرة) (٣١).

ثم لا ريب في أن الإنسان مركب من المادة والروح، وأن لوجوده بعدين: بعداً مادياً، وبعداً معنوياً، ولذلك لا بد للإسلام كنظام للإنسان ومنهج للحياة أن يعتني بهذا البعد المادي أيضاً لأن تجاهله ما هو إلا تجاهل لنصف الإنسان.

وبعبارة أخرى، إن الغنى في الجانب المعنوي وحده، لا يكفي، لأن الفقر الاقتصادي كفقر الدم تماماً، إذ الاقتصاد عصب الحياة، ودم يجري في عروق المجتمع، ويضمن حياته وبقائه، فكما أن فقر الدم يوجب سلسلة من الأمراض والمضاعفات الخطيرة مثل ضعف السمع والبصر، وظهور اللكنة في اللسان، وتعرقل عمليات المخ، إلى غير ذلك من العوارض، وألوان الخلل في وظائف الأعضاء فإن للفقر الاقتصادي والمادي عوارض سيئة، وآثار خطيرة على الحياة الفردية والاجتماعية فهو يوجب ضعفاً في الهيكل الاجتماعي وتصدعاً في تماسكه، ولذلك يكون الاقتصاد مطروحاً للإنسان منذ أن يولد حتى يوسد في لحده، هذا مضافاً إلى أن بقاء الأصول الأخلاقية والتزام الصراحة، ومناعة الطبع واستقلال الشخصية أمور متفرعة على الجانب المادي، بمعنى أن الإبقاء على هذه الأمور في غاية الصعوبة على من اضطرب أمر معاشه، وأصابه الفقر، واختل اقتصاده. فكم من إنسان ابتلي بصفة التملق وفقدان الشهامة، والاخلال بالواجب نتيجة الفقر، واضطراب المعاش؟ وكم من إنسان اضطرب إلى الكذب والخداع، والمساومة على العقيدة والدين لهذا السبب؟ بل وكم من شعب وقع فريسة الاستعمار والتبعية نتيجة التدهور الاقتصادي والحرمان المادي، والحاجة إلى المساعدات، فحرم المجد والعظمة، وفقد الاستقلال، والحرية.

ومن هنا لم يكن للأمم الفقيرة أي نصيب في العزة والكرامة والمكانة الدولية اللاتقة بين شعوب الأرض.

بل وعلى هذا الأساس الاقتصادي قامت العلاقات الدولية، والروابط السياسية بين الحكومات والشعوب.

نعم إن الفرق بين النظام الإسلامي والنظامين الرأسمالي والاشتراكي هو أن الاقتصاد في الإسلام يشكل أصلاً هاماً إلى جانب الأصول الهامة الأخرى - كما ظهر من البيان

مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة (٣٢١)

السابق - لأنه الأصل الوحيد الذي تقوم عليه سائر المسائل الأيديولوجية، والأخلاقية، والسياسية كما تدعيه الاشتراكية، أو تذهب إليه الرأسمالية عملياً.

ونعود لنقول إن أفضل ما يدل على أن الاقتصاد في الإسلام يشكل أحد الأصول، الهامة هو أن أكثر الكتب الفقهية تتركز على ذكر القوانين المتعلقة بالاقتصاد، وتعد أبواباً خاصة كأبواب المكاسب، والشفعة والإقالة والصلح والمضاربة والمزارعة والمساقاة والإجارة والجمالة والعارية والقسمة، والدين والرهن والحجر والمفلس والضمان والحوالة، والهبة والوقف والصدقة، والصيد والذباحة والغصب وإحياء الموات، والمشتركات واللقطة والإرث وأحكام الأبنية والأرضين وما شابه ذلك.

هذا مضافاً إلى أننا نجد القرآن يقرن ذكر الصلاة بذكر الزكاة كلما تحدث عن تلك العبادة وقد تكرر ذلك في القرآن ما يقارب ٣٢ مرة تقريباً، ومن المعلوم أن الأول ينظم علاقة المخلوق بالخالق، والثاني ينظم علاقة الفرد بالمجتمع؛ واقتران كل من الأمرين بالآخر يشهد بأن هناك بين المعاش والمعاد صلة وثيقة، وارتباطاً لا ينفك.

ثم لما كان الإسلام منهجاً كاملاً وكافلاً لاحتياجات المجتمعات البشرية ماديها ومعنويها، اقتضى ذلك أن يكون له منهج اقتصادي واحد يخضع له الجميع، ويكون قادراً على رفع تلك الاحتياجات، وتمشيًا مع الحاجات المتجددة، والاكتشافات الحديثة، وتمكنًا من إقامة التوازن بين الإنتاج والتوزيع، وموفرًا لكل أعضاء المجتمع البشري جواً مناسباً ومطلوباً من الخير والرفاه؛ لتعيش البشرية في كنفه في أمان وسلام ورخاء واكتفاء.

إن هذا هو ما يتوخاه النظام الإسلامي ويسعى إليه في منهجه الاقتصادي.

ثانياً: وجود منهج اقتصادي متكامل: إن بيان المنهج الاقتصادي في الإسلام المتكامل يستدعي بحثاً مترامياً الأطراف، وهو من صميم هذه الدراسة، فإن الإسلام اهتم - اهتماماً شديداً بالجانب الاقتصادي في حياة الأمة ودعا إلى التنمية الاقتصادية في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها.

ولايقف القارئ على تلك الدعوة نأتي بإجمال عن ذلك في ضمن عناوين خاصة ونحيل التفصيل إلى مجال آخر.

١- الإنسان مأمور بعمارة الأرض: إن الإنسان في هذا النظام مأمور من جانب الله سبحانه بعمارة الأرض، وإصلاحها، وإحيائها، دون أن يمنعه مانع عن ذلك إذا ما كان في حدود الدين وشرائعه، إذ قال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هود: ٦١.

وعن الإمام عليّ عليه السلام في حديث أنه قال: (إن معاش الخلق خمسة: الإمارة، والعمارة، والتجارة، والإجارة والصدقات (إلى إن قال) وأما وجه العمارة فقوله تعالى: هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَأَعْلَمْنَا سَبْحَانَهُ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَهُم بِالْعِمَارَةِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِمَعَايَشِهِمْ بِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ) (٣٢).

٢- الإنسان مدعو إلى الكدح والعمل: لقد دعا الإسلام إلى الكد والكدح والعمل دعوة أكيدة، وحث عليها حثاً بليغاً لا نجد نظيره في أي نظام آخر، فهو نهى عن الكسل، كما نهى أن يكون المرء كلاً على الآخرين، يستهلك ولا يعمل، ويأكل ولا يشتغل وإليك طائفة من الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في هذا المجال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ملعون من ألقى كله على الناس).

وقال في وصيته لعليّ عليه السلام: (إياك وخصلتي: الضجر والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق وإن كسلت لم تؤد حقاً، يا علي من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة) (٣٣).

الفرع الثالث: تكامل القوة العسكرية

تعتبر القوة العسكرية المؤسسة الرئيسية والمهمة في الإسلام والتي أكد عليها القرآن لتحصين الدولة الإسلامية من الأعداء والمنافقين والطامعين، ولتكون منطلقاً لنشر الإسلام في جميع أرجاء المعمور دون الاعتداء على أموال الناس والعزل واعراضهم، وحفظ حرمة الشيخ الكبير والطفل الصغير، وكل من اعتزل قتال المسلمين دون إكراه الناس على امر لا يريدونه، فالإسلام دين الهداية وعدم الإكراه، وعدم استعمال القوة المفرطة لهداية الناس واصلاحهم، والتعامل مع الكفار الذي يعتدون على حرمة الإسلام بالقوة التي تصلحهم وتؤدي بهم إلى دخول الإسلام، أو دفع الجزية، وقد حث القرآن إلى الأعداد الجيد

مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة (٢٢٣)

والتكامل للقوة العسكرية فقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْيَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مَنْ دُونِهِمْ لِنَعْلَمَ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُثِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبِغْ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٣٤) فالاستعداد العسكري لمواجهة الأعداء مهم ومطلوب مسبقاً فمنطق الآية: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، أي لا تنتظروا حتى يهجم العدو فتستعدوا عندئذ لمواجهة، بل يجب أن تكون لديكم القدرة والاستعداد اللازم، والكامل لمواجهة هجمات الأعداء المحتملة، وفي الجملة القصيرة، آفة الذكر بيان لأصل مهم في الجهاد وحفظ وجود المسلمين وما لديهم من مجد وعظمة وفخر، والتعبير في الآية واسع إلى درجة أنه ينطبق على كل عصر مصر تماماً^(٣٥).

وكلمة (قوة) التي صرحت بها الآية وإن اوجزت لفظاً، إلا أنها ذات معنى وسيع ومغزى عميق، فهي لا تختص بأجهزة الحرب والأسلحة الحديثة لكل عصر فحسب، بل تتسع لتشمل كل أنواع القوى والقدرات التي يكون لها أثراً ما في الانتصار على الأعداء، سواء من الناحية المادية أو الناحية المعنوية.

المبحث الثاني

المقومات المعنوية لتكامل للأمم في القرآن الكريم

المطلب الأول: التكامل في العقيدة الواحدة:

لم يكن هناك أي اختلاف عقائدي في زمن الرسول محمد ﷺ واثناء تأسيس دولته من ثلة قليلة من المهاجرين والانصار وحققت كثير من الاهداف والانتصار رغم قلة العدة والعدة لسبب وحدة العقيدة والإيمان بالله ورسله وكتبه وكل من اخبر به، وقد امثل المؤمنون لكل اوامر الله ونواهيه، واطاعوه حق طاعة واطاعوا رسوله محمد ﷺ بكل ما انزل اليه وآتاه الله اليه، وكل ما امر به المؤمنون فبايعوه على انفسهم واموالهم واعراضهم وبكل ما يملكون فكانت دولته متكاملة الارقان رصين الاسس قوية في الدفاع عن العقيدة الراسخة بقلوب المؤمنين فكانوا بحق امة واحدة متكاملة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٣٦) قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه دينكم دين واحد. واصل الامة الجماعة التي على مقصد واحد، فجعلت

(٣٢٤) مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة

الشريعة أمة، لاجتماعهم بها على مقصد واحد، وقيل: معناه جماعة واحدة في أنها مخلوقة مملوكة لله " (٣٧)، و"أن الناس ليسوا إلا أمة واحدة: المرسلون والمرسل إليهم، وليس لهم إلا رب واحد فليجتمعوا على تقواه، ويقطعوا بذلك دابر الاختلافات والتحزبات، فإذا التقى الأمران أعني الأدب الفردي والاجتماعي تشكل مجتمع واحد بشرى مصون عن الاختلاف يعبد ربا واحدا، ويجري الآحاد منه على الأدب الإلهي فاتقوا خبائث الأفعال و سيئات الأعمال فقد استووا على أريكة السعادة." (٣٨).

فقد كان النبي ﷺ والذين آمنوا به "فقد كان منهجهم واحداً، وهدفهم واحداً بالرغم من اختلافهم في الزمان والمحيط والخصائص والأساليب والطرائق، فهم كانوا يسرون في منهج واحد ويمضون جميعاً في طريق التوحيد ومحاربة الشرك ودعوة الناس إلى الإيمان بالله والحق والعدالة." (٣٩).

وكما مر ذكره و أكده صاحب تفسير الامثل حيث قال: (٤٠) إن توحيد ووحدة الخطط والأهداف هذه تعود إلى أنها جميعاً تصدر عن مصدر واحد، عن إرادة الله الواحد، ولهذا تقول الآية مباشرة: ﴿وَأَنَا مَرْبُكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، فقد اجتمعوا على توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسول ﷺ.

المطلب الثاني: التكامل في وحدة الكتاب وخلوده:

فالقرآن الكريم كتاب الرسالة الخاتمة والمعجزة العقلية الخالدة والدالة على صحة دعوة الرسول محمد ﷺ وهو ركيزة من ركائز التكامل المعنوي في الرسالة الالهية التي كلف بها النبي الخاتم ﷺ فليس هناك رسالة متكاملة قبلها من كل الجوانب التشريعية والتربوية والاخلاقية وغيرها، وقد كان التحدي بالإتيان بمثل هذا القرآن المتكامل ايضاً للأنس والجن وفي كل زمان ومكان اذ قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لآياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (٤١) "فالقرآن الكريم بجد ذاته معجزة من حيث انعدام قدرة البشر على الإتيان بمثله، ومعجزة يجمعه هكذا، وترتيبه من قبل بعض الصحابة، وعدم تحريفه وزيادته ونقصانه، قال الله تبارك وتعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه)، وبقائه بصورته كما كان ويكون، إلى يوم القيامة، وحفظه أيضاً، فلم يتفق لأمر تاريخي أو كتاب سماوي مثل ما اتفق للقرآن الكريم، بالبقاء على صورته، وبدون أي تغيير." (٤٢).

وقال الطباطبائي: "فلو كان التحدي ببلاغة بيان القرآن، وجزالة أسلوبه فقط لم يتعد التحدي قوما خاصا، وهم العرب العرباء من الجاهليين و المخضرمين قبل اختلاط اللسان وفساده، وقد قرع بالآية أسمع الإنس والجن.

وكذا غير البلاغة و الجزالة من كل صفة خاصة اشتمل عليها القرآن كالمعارف الحقيقية و الأخلاق الفاضلة و الأحكام التشريعية و الأخبار المغيبة و معارف أخرى لم يكشف البشر حين النزول عن وجهها النقاب إلى غير ذلك، كل واحد منها مما يعرفه بعض الثقلين دون جميعهم، فإطلاق التحدي على الثقلين ليس إلا في جميع ما يمكن فيه التفاضل في الصفات.

فالقرآن آية للبلغ في بلاغته و فصاحته، وللحكيم في حكمته، وللعالم في علمه وللاجتماعي في اجتماعه، وللمقننين في تقنينهم و للسياسيين في سياستهم، وللحكام في حكومتهم، ولجميع العالمين فيما لا ينالونه جميعا كالغيب و الاختلاف في الحكم و العلم، والبيان." (٤٣).

"والدليل على شهادته تعالى ما أنزله في كتابه من آيات التحدي كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، وقوله: ﴿أَفَلَا يَسْتَدْبِرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٤٤)، وقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٤٥).

وقال صاحب تفسير الامثل: (٤٦) إن هذه الدعوة للمقابلة والتي يصطلح عليها علماء العقائد بـ (التحدي) هي أحد أركان المعجزة، وعندما يرد هذا التعبير في أي مكان، نفهم بوضوح أن هذا الموضوع هو من المعجزات.

ونلاحظ في هذه الآية عدة نقاط ملفته للنظر وكما يلي: (٤٧)

- ١- عمومية دعوة التحدي والتي تشمل كل البشر والموجودات العاقلة الأخرى.
- ٢- خلود دعوة التحدي واستمرارها، إذ هي غير مقيّدة بزمان، وعلى هذا الأساس فإن هذا التحدي اليوم جارٍ مثلما كان في أيام النبي ﷺ، وسيبقى كذلك في المستقبل.

٣- استخدام كلمة (اجتمعت) إشارة لأشكال التعاون والتعاقد والتساند الفكري والعملية، الذي يُضاعف حتماً من نتائج أعمال الأفراد مئات، بل آلاف المرات.

٤- إن تعبير ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ تأكيد مجدد على قضية التعاون والتعاقد، وهي أيضاً إشارة ضمنية إلى قيمة هذا العمل وتأثيره على صعيد تحقق الأهداف وتنجزها.

٥- إن تعبير (بمثل هذا القرآن) دلالة على الشمول والعموم، وهو يعني (المثل) في جميع النواحي والأمور، من حيث الفصاحة والبلاغة والمحتوى، ومن حيث تربية الإنسان، والبحوث العلمية والقوانين الاجتماعية، وعرض التاريخ، والتنبؤات الغيبية المرتبطة بالمستقبل.. إلى آخر ما في القرآن من أمور.

٦- إن دعوة جميع الناس للتحدي دليل على أن الإعجاز لا ينحصر في ألفاظ القرآن وفصاحته وبلاغته وحسب، وإلا لو كان كذلك، لكانت دعوة غير العرب عديمة الفائدة.

٧- المعجزة تكون قوية عندما يقوم صاحب المعجزة بإثارة وتحدي أعدائه ومخالفيه، وبتعبيرنا تقول: يستفزهم، ثم تظهر عظمة الإعجاز عندما يظهر عجز أولئك وفشلهم.

وفي الآية التي بحثناها يتجلى هذا الأمر واضحاً، فمن جانب دعت جميع الناس، ومن جانب آخر تستفزهم بصراحة في قولها (لا يأتون بمثله) ثم تحرضهم وتدفعهم للتحدي بالقول (ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً).

المطلب الثالث: التكامل في السياسة الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية.

أولاً: التكامل السياسي الداخلي: فالتكامل السياسي للدولة الإسلامية من أهم ركائز الدعوة ونشر الإسلام في أرجاء المعمورة وتحقيق المراد الإلهي لهديّة الناس وصلاحهم.

حيث تكون القوة السياسيّة للمسلمين، فكل دارٍ يسيطرُ المسلمون على حكمها وينفذون إلى إدارتها بحيث تكون خاضعة لهم، وتحت رغبتهم وفي ظلّ سطوتهم هي أرضُ

الأمة، وحيث نجد في هذا المدلول مقومان أساسيان هما البعد المكاني والسلطة السياسية. فتكون الدولة تعبيراً عن الأمة، فتتعدد داخلها الانتماءات الفرعية إلا أن جامعةً سياسيةً واحدة تربط بين المنتمين لها، هذه الجامعة قد تقبل لأسباب اقتصادية أو أمنية تعدداً في الانتماءات الأولية للجماعات المكوّنة للأمة، دون أن يعني ذلك تعارضاً مع المبادئ الدينية التي قامت الدولة على أساسها وبين ضرورات المصلحة الشرعية التي رضيت أن يكون بين مواطني الدولة الإسلامية آخرون لا يؤمنون بالدين الإسلامي، في هذا المجتمع، تسود العلاقات التعاقدية وعلاقات المنفعة والمصلحة المشتركة، على ما يحمل هذان المفهومان من تناقض وتوافق في وعاء الأمة الإسلامية، ورد في نص خطاب للنبي ﷺ: (إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وانفسهم، إلا من ظلم)^{(٤٨)(٤٩)}.

حيث يظهر من هذا النص أن المقوم لمصطلح الأمة هو الرابط السياسي حيث تكون السلطة بيد المسلمين. ويرادف هذا النص تعبيراً آخر، كان متداولاً بين المسلمين، هو دار الإسلام، وهي البلاد التي يحكمها المسلمون، حيث يقول الفقيه الشافعي الرافعي (ت: ٦٤٣هـ): "ليس من شرط دار الإسلام أن يكون فيها مسلمون، بل يكفي كونها في يد الإمام. فالمعيار الأساس فيها ليس ديانة المحكومين بل الحاكمين"^(٥٠)، وكذا دار الهجرة، وهي المناطق التي هاجر إليها المسلمون، هذان الداران يعبران عن معنى الأمة بقسمه السياسي حيث يخضع الجميع لأحكام الإسلام، ويتفق على المسلمين من بيت المال وتجري أحكام القصاص والحدود والديات وفق الشريعة. يذكر ذلك رسول الخليفة الأول إلى اليمامة بأنه: "أي ما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بين مال السلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام"^(٥١)، فالداران المذكورتان هما أرضان يحكمها المسلمون بخلاف دار الحرب التي يفصل السيف بينها وبين أراضي المسلمين، وبالتغاير عن دار العهد التي يحكمها غير المسلمين ولكن أنشأ المسلمون فيما بينهم وبينها صلحاً وعهداً، وبالتمايز عن دار الردة التي انقلبت إلى غير حكم المسلمين بعد أن كانت ضمن حوزتهم.

الخاتمة:-

التائج:-

١. التكامل الثقافي والديني في النص القرآني يعزز القرآن الكريم مفهوم الوحدة والأخوة بين المسلمين، ويشدد على أهمية التعاون والتكامل بين الأمم لتحقيق السلم والرخاء، تشير الآيات إلى ضرورة التمسك بالقيم الأخلاقية والدينية كأرضية مشتركة لتحقيق هذا التكامل.
٢. خلود القرآن احدى مقومات وجوب التكامل في شريعته، وعقائده، و اخلاقه، وكل ما يتضمنه، من حكم واحكام، وقصص، ومواعظ، وسنن، وعبر.
٣. الامة المتكاملة هي التي مرجعها الوحي الالهي، وغير المتكاملة مرجها العنصر البشري، أو الشيطان.

التوصيات:

١. دمج التعليم القيمي مع التعليم العلمي:
- يوصى بتكامل التعليم القيمي والأخلاقي المستوحى من النص القرآني مع التعليم العلمي والتكنولوجي لتعزيز هوية الطلاب وقدرتهم على التفاعل مع تحديات العصر.
٢. تعزيز التعاون الثقافي والديني بين الأمم:
- تشجيع برامج التبادل الثقافي والديني التي تعزز الفهم المتبادل والتعاون بين الأمم، مستندة إلى القيم المشتركة المذكورة في النص القرآني والنظريات التربوية.
٣. تنمية التفكير النقدي لدى الطلاب:
- تطوير المناهج التعليمية لتشمل الأنشطة التي تعزز التفكير النقدي، سواء من خلال التحليل العلمي والتجريبي كما في النظرية الواقعية، أو من خلال التأمل الفلسفي كما في النظرية المثالية.

هوامش البحث

- (١)-، العين: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، العين، عمان، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٩، ج ١، ص ٤١٦.
- (٢)- المصباح المنير: الفيومي، أبو العباس، بيروت، مكتبة لبنان، ج ٨، ص ١٦، ٢٠٠٩.
- (٣)- معنى مقومات: العقلة، احسان، <https://mawdoo.com>.
- (٤)- ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ١٩٧٩، ج ٤، ص ١٢٣.
- (٥)- ينظر: مقومات بناء الأمم: الزامل، نجيب، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، الكويت، ٢٠١٦، ص ٦٥.
- (٦)- مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ١٩٧٩، ج ٥، ص ١٣٩.
- (٧)- نفس المصدر.
- (٨)- المائة/٣.
- (٩)- المصدر السابق، ص ١٣٩.
- (١٠) - ينظر: التكامل الدولي (دراسة في المفاهيم والمقاربات والنظريات): نسمية طويل، مجلة الناقد للدراسات السياسية، العدد الثالث، الجزائر، أكتوبر / ٢٠١٩.
- (١١) - المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية: أوكالاها، مارتن غريفيش تيري، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٢، ص ١٩٤.
- (١٢) - نفس المصدر
- (١٣)- المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية: أوكالاها، مارتن غريفيش تيري، ص ٣٨٩.
- (١٤)- ينظر: لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، ج ١٢، ص ٢٦.
- (١٥)- مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني، الراغب، بيروت، دار القلم، ١٤٢٦هـ، ص ١٢٨.
- (١٦)- ينظر: الأمة والجماعة والسلطة: السيد، رضوان، بيروت، دار الفكر العربي، ٢٠١١، ط ٥، ص ٤٣-٤٤.
- (١٧)- موسوعة السياسة: الكيالي، عبد الوهاب، بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٩٠، ط ٣، ج ٢٣، ص ٣٠٥.
- (١٨)- مؤسسة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، ط ٢، الرياض، ١٩٩٠، ص ٦٩٣.
- (١٩) - نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم، من منشورات مكتبة مدرسة الفقاهة، ج ٤، ص ١٢١.
- (٢٠) - ص / ٣٥.
- (٢١) - نفس المصدر.
- (٢٢) - نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم، المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٣١.
- (٢٣) - المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٣٩.

(٣٣٠) مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة

- (٢٤) - التوبة / ١٠٣ .
- (٢٥) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيرازي، ناصر مكارم، المصدر نفسه، ج٦، صص ١٩٩-٢٠٠ .
- (٢٦) - التوبة/١٠٥ .
- (٢٧) - المصدر نفسه، ج٦، ص ٢٠٥ .
- (٢٨) - البقرة/١٨٨ .
- (٢٩) - تفسير الميزان: الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة الاعلمي، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ١٣٧ .
- (٣٠) - وسائل الشيعة: الحر العاملي، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ج ١٢، ص ١٧ .
- (٣١) - نهج البلاغة: الخطبة ١٤٥ .
- (٣٢) - وسائل الشيعة: الحر العاملي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٩٥ .
- (٣٣) - المصدر نفسه، ج ١٢، ص ١٨ و ج ٣٧، صص ١٧-١٨ .
- (٣٤) - الانفال / ٦٠ .
- (٣٥) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٧٠ .
- (٣٦) - المؤمنون/٥٢ .
- (٣٧) - التبيان: الطوسي، ٢٧١/٧ .
- (٣٨) - الميزان: الطباطبائي، ١٤٥/٦ .
- (٣٩) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ج ١٠، ص ٢٤٠ .
- (٤٠) - المرجع نفسه .
- (٤١) - الاسراء/٨٨ .
- (٤٢) - مجمع البيان: الطبرسي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٢هـ، ج ١، ص ٢٠٣ .
- (٤٣) - الميزان، ٣١/١ .
- (٤٤) - النساء / ٨٢ .
- (٤٥) - يونس / ٣٨ .
- (٤٦) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ج ٩، ص ١٣٣ .
- (٤٧) - ينظر: الأمثل: مكارم الشيرازي، ١٣٣ / ٩ .
- (٤٨) - موسوعة التاريخ الإسلامي: اليوسفي، محمد هادي، ص ٦٢ .
- (٤٩) .
- (٥٠) - التحديد المفاهيمي لمصطلحي الأمة والمواطنة: الموسوي، صادق عباس، مجلة المنهاج، العدد: ٥٤، السنة الرابعة عشر صيف ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، ص ٩٢ .
- (٥١) - موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية، دغيم سميح، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٠، ص ٤٥٩ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: خير ما نبدأ به.
- ١- الأمة والجماعة والسلطة: السيد، رضوان، بيروت، دار الفكر العربي، ٢٠١١، ط٤.
 - ٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيرازي، ناصر مكارم، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
 - ٣- التبيان: الطوسي، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
 - ٤- التحديد المفاهيمي لمصطلحي الأمة والمواطنة: الموسوي، صادق عباس، مجلة المنهاج، العدد: ٥٤، السنة الرابعة عشر صيف.
 - ٥- تفسير الميزان: الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة الاعلمي، بيروت - لبنان.
 - ٦- التكامل الدولي (دراسة في المفاهيم والمقاربات والنظريات): نسمة طويل، مجلة الناقد للدراسات السياسية، العدد الثالث، الجزائر، أكتوبر/ ٢٠١٩.
 - ٧- العين: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، عمان، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٩.
 - ٨- لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
 - ٩- مجمع البيان: الطبرسي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٢هـ.
 - ١٠- المصباح المنير: الفيومي، أبو العباس، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٩.
 - ١١- معنى مقومات: العقلة، احسان، <https://mawdoo.com>.
 - ١٢- المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية: أو كالأهان، مارتن غريفيش تيري، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٢.
 - ١٣- مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني، الراغب،، بيروت، دار القلم، ١٤٢٦هـ.
 - ١٤- مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المصدر السابق.
 - ١٥- مقومات بناء الأمم: الزامل، نجيب، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، الكويت، ٢٠١٦.

(٣٢٢) مقومات تكامل الأمم في النص القرآني والنظريات التربوية الحديثة

١٦- مؤسسة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، ط٢، الرياض، ١٩٩٠.

١٧- موسوعة التاريخ الإسلامي: اليوسفي، محمد هاد.

١٨- موسوعة السياسة: الكيالي، عبدالوهاب، بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٩٠، ط٣. ص٣٠٥.

١٩- موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية: دغيم سميح، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٠.

٢٠- نفحات القرآن: الشيرازي، ناصر مكارم، من منشورات مكتبة مدرسة الفقاهة.

٢١- وسائل الشيعة: الحر العاملي، قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام.